«أمم للتوثيق» تشرّع خزائنها للباحثين وأول الغيث «كتب قتلت أصحابها»

الإعلان عن فتح أول أرشيف لـ«الحرب الأهلية اللبنانية» في ذكراها الـ35

بيروت: سوسن الأبطح

يقوللقمان فعاليات سلیم،

جمعية «أممللتوثيق والأبحاث»: «الناس في لبنان مستنفرون للاحتفال بذكرى الحرب الأهلية، التي مضي على اندلاعها 35 عاماً، ونحن مثلهم. لذلك، هانحن نعيد افتتاح معرض عن المفقودين أثناء الحرب (عددهم يفوق 17 ألف شخص لم يعرف مصيرهم)، ونستعد يسوم 20 من الشبهر الحالي لافتتاح معرض آخر وهو الأهمّ، عن (كتب من الميدان - مشاهد من أدبيات التصرب)». وهو معرض يحاول أن يقص حكاية محطات من تاريخ البلد من خلال كتب شاركت في الحرب، وكانت جزءا من «البروبغندا» الحربية والسياسية، لأنها أشعه بتمانأت سياسية. وهناك كتب أيضا قتلت أصحابها، وكلها ستكون في هذا المعرض الذي سيعلن من خّلاله عن بداية الاستعدادات اللوجيستية لفتح خرانة جمعية «أمم للتوثيق والأنصاث» للأستعمال العام.

وأخبيرا، إذن، سيكون للحرب اللبنانية الأهلية أرشيف موثق، يعود إليه البحاثة والدارسون جمعية «أمم للتوثيق والأبحاث»، التي تتذكر اليوم مثل كل اللبنانيينَّ في 13 أبريل (نيسان) من كل ستّنة، اندلاع الشرارة الأولى للحرب، تقوم بجهد كبير منذ تأسيسها عام 2004 لأرشفة الحرب الأهلية، وإخراجها من الضبابية والأجتهادات ووجهات النظر، إلى حيز المعلومة الموثقة. وطوال سنوات عملت «أمم» على جمع وثائق ورقية وسمعية وبصرية. بعض هذه الوثائق نادرة، ولا بد من

حفظها على حوامل إلكترونية، لتسهيل العودة إليها. مشروع مكلف، وضروري لحفظ ذاكرة مرحلة دموية، المعلومات حولها شديدة التضارب. ومع ذلك فإن الدولة اللبنانية لم

هدفا للطيران الإسرائيلي أثناء حرب 2006، ويقول لقمان سليم: «خسلال حسرب 2006، أصبيناً بأضرار جسيمة. فقدنا جزءا من الوثائق الورقية والصوتية، وفهمنا أن عمل سنوات بمكن أن يتلف في ثوان. قررنا أن نسرع في حفظ معلوماتنا إلكترونياً. وبغضل تمويل من مؤسسة (برنس كلاوس فاونديشن) الهولندية، استطعنا أن ننهض وننقذ حانيا مما فقدناه وليس كله. وقمنا بنسخ الكثير من الوثائق الورقية إلكترونيا لضمان حمايتها من التلف مستقبلا، هذا في المرحلة الأولى».

من السفارة النرويجية».

بطبيعة الحال، هذه الثروة الأرشيفية، تبقى بلا فائدة، إن لم تفهرس، وتنظم، وتصبح صالحة كمراجع له مفاتيحها، وهنذا النذي يتم العمل عليه

تعن بالأمر، ولولاً تمويلات أجنبية، وتحديدا من النرويج وكندا والدنمارك وهولندا، ما كان لهذا المشروع أن يستمر أو يبصر النور. حمعية «أمم» تتمركز في الضاحية الجنوبية، مما جعلهاً

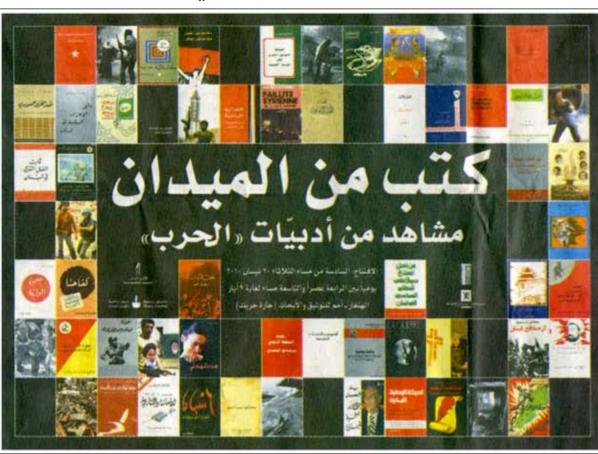
«فـــى المــرحــلــة الــــّـانـــــة، استطعنا أن نحصل على تمويل من السفارة الكندية، وتحديدا (الوكالية الكندية الدولية للتنمية) لنحفظ آلاف الصفحات الورقية إلكترونيا. وفي المرحلة الثالثة، قمنا تتصوير عدة الاف أخرى من الصفحات ضوئيا، وحولناها إلى ملفات رقمية، بفضل تمويل

حاليا، ليصبح منجزا، في

إلى جانب مركز أبحاث «أمسم»، النذي يعمل معه عدد من الناشطين الأوروبيين، في الضاحية الجنوبية، بوجد «الهنغار»، المكان الذي يستقبل المعارض والنشاطات، وقد تم ترميم صالة إضافية فيه، بفضل تمويل من وزارة الخارجية الدنمار كية، حيث سيتم استقبال الباحثين الراغبين في الاطلاع على الأرشيف، بمساعدة ماري كلود سعيد وسيفاك كشيشان. لكن، ما محتوبات هذا الأرشبييف السذي يبعثمل على

جمعه وتوثيقه نحو 6 أشخاص بشكل يومي وحثيث، كل منهم له اختصاص لتلبية جانب من المهمات الكثيرة التي تتوزع بين الجميع، وفرز المعلومات، ومن ثم المسم الضوئي وتوثيق الصوتي والمرئي؟ تركز الجمعية، بحسب ما

يروي لنا رئيسها، لقمان سليم، على «المادة الرمادية» أي كل ما كتب أو صدر بهدف نشره لمرة واحدة، من دون غاية تسويقية تجارية. من هذه المنشورات تلك الكتب التي نشرتها الأحزاب عن شهدائها، هناك أيضا البيانات والمناشير التي كانت تطبع للاستهلاك الظرفي السريع. ومما يحويه هذا الأرشنف أيضنا ، معلومات حول أحداث ومعارك خضعت بعد ذلك لرقابة شبه فورية، لأن الأحداث ما عادت تناسب أصحابها ويؤذيهم تذكرها، مثل الحرب بين حركة أمل وحزب الله. وهناك على سبيل المثال «حرب المخيمات» التي اندلعت بين الفلسطينيين وحركة أمل. يحوي الأرشيف بعض الصور، لكن الأهم من ذلك، اللادة السمعية البصرية، إذ إن القيمين على المشروع لم يتوقفوا عن تسجيل المقابلات، مع أشخاص يمتلكون معلومات



ملصق معرض «كتب من الميدان» الذي سينتشر على اللوحات الإعلانية في بيروت بعد أيام

مهمة حول الحرب وما دار خلالها. وكي نكون دقيقين، فإن «أمم» بدأت بأرشفة الحرب الأهلية، لكن الحروب اللبنانية المتتالية في لبنان وعليه، تجعل من المهمة تكبر وتنمو، فقد وحدت الجمعية نفسها معنية ب «حرب نهر البارد» مثلا في مايو (أيار) 2007 أيضًا، وسحلتُ

40 ساعة مع سكان المخيم. يشرح رئيس الجمعية، لقمان سليم، لـ«الشرق الأوسط»، أن «البحث لا يتوقف، والمهمة تنمو وتتفرع بسبب مفاجأت غير متوقعة في كثير من الأحيان، ليس فقط أن الحروب في لينان سلسلة لا تنتهي، ولكن هنَّاكُ ما تلزمنا به المصنَّادفات، ولا نستطيع تجاهله. وجدنا أنفسنا فجأة أمام أرشيف فندق كارلتون، وهو فندق مهم في الحياة السياسية والاحتماعية اللبنانية، ومع ذلك بيع الفندق من سنة وتصف السنة، ودمر بالكامل، وترتفع مكانه حاليا عمارة من عدة طوابق. كان قدرنا أن ننقذ أرشبيفا هذا الأوتيل. ذهبنا وأخذناه من المزبلة، كان قد رمى ليتم التخلص منه،

لا يعرف لقمان سليم، حتى الآن، ما الأهمية العلمية والتوثيقية لهذا الأرشيف قبل فرزه بالكامل والعمل عليه، لكنه يلفت النظر إلى أن جانبا مما عثر عليه، مثلا، بخبرنا عن الوجيات التي كانت تقدم في الأوتيل في الخمسينات، وميًّا النَّذِي كانوًّا بِأكلونَه في هذا الأوتيل، هذا لا بد سيهم الدارسين في يوم من الأيام.

واستطعنا أن ننجو به».

الجانب التوثيقي غائب بالكامل عن الذهنية العربية، ولا

رغبة الكثيرين في طمرها يبدو أن مناك مؤسسات رسمية ونسيانها. وهذا هو تماما ما لبنانية نشتغل جديا على حفظ الذاكرة. أما ذاكرة الحرب، فهذه تحاول محاريته «أمم للتوثيق»، وضعها أكثر تعقيدا بسبب معتبرة أنطى صفحة الماضي لا

يكون بتجاهل الجروح، وإنما بمداواتها وعلاجها، وفهم الأسباب وإدراك التفاصيل. ولهذا، فإن المهمة لا يجب أن

تتوقف على العمل المحدود داخل مقر الجمعية مهما كان ثمينا، وإنما بالترويج للفكرة وبإقناع النَّناس، بخسرورة الإسبهام في حفظ الداكرة، ليس المكتوبة فقط أوالمصورة وإنما الشفهية أيضا. وتسعى الجمعية إلى التعاون مع جامعات، لحث الطلاب على الأرشيفة وجمع المعلومات. وأول الغيث بدأ مع إحدى الجامعات حيث سيعمل الطلاب على تسجيل التاريخ الشفوي لإحدى مناطق كسروان.

يصف لقمان سليم هذا الأرشييف بأنه «أول أرشيف مواطني مفتوح وغير خاضع لمعاملات إداريسة وتعقيدات رسمية لمراجعته». ويضيف: «لا بد أن جهات كثيرة لها أرشيفها الخاص، سواء كانت عسكرية أو أمنية، وريما استخباراتية أو حزيية. لكن هذه المعلومات لا توضع في تصرف المواطنين، وليست في خدمة الباحثين بشكل أوتوماتيكي».

ويقول لقمان سليم: «نحن لا نعمل في نبش المقاس. هذا ما يجب أن يدركه الناس، لكننا نؤمن أنه من الصعب أن نكون شيفافين مع حاضرنا، إن لم نتقبّل ماضينا ونتعامل معه بصدق، ومن دون مراوغة ولا مداورة. تقبّل الذاكرة كما هي يحتاج إلى تمرين، وربما إلى بعض الترويج أيضا».